شبكة الألوكة
www.alukah.net

مخطوطة

# كتاب الإيمان الأوسط

المؤلف

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قطعة منه
ألمانيا

# هذا كتاب الايمان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين قال الامام ابو العباس احمد بن عبد الحليم
رضي الله عنه تضمن الحديث سوال النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام و
الايمان والاحسان وجوابه صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله هذا جبرئيل
جاءكم يعلمكم دينكم فجعل هذا كله من الدين والناس في الاسلام والايمان
وعن الكلام الكثير مختلفون تارة ومتفرقون اخرى ما يحتاج معه الى
معرفة الحق في ذلك وهذا يكون بان تبين الاصول المعلومة المتفق عليها
ثم بذلك يتوصل الى معرفة الحقيقة المتنازع فيها فنقول مما علم بالكتاب
والسنة والاجماع وهو من المنقول نقلا متواترا بل هو من المعلوم
بالاضطرار من دين الاسلام ان الناس كانوا على عهده صلى الله عليه وسلم
بالمدينة ثلاثة اصناف مومن وكافر مظهر الكفر ومنافق ظاهره
الاسلام وهو في الباطن كافر ولهذا انزل الله في اول سورة البقرة ذكر
الاصناف الثلاثة فانزل اربع ايات في صفة المومنين وايتين في
صفة الكافرين وبضع عشرة اية في صفة المنافقين وضرب لهم
مثلين احدهما بالنار والاخر بالماء كما ضربهما للمومنين في قوله انزل من
السماء ماء فسالت اودية بقدرها الاية واما قبل الهجرة فلم يكن الناس
الا مومن او كافر فان المسلمين كانوا مستضعفين فمن امن امن
باطنا وظاهرا فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وصار
للمومنين بها عز ودخل جمهور اهلها في الاسلام طوعا كان من

ان نهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اقاربهم وغيرهم من اظهر الاسلام موافقة ورهبة او رغبة وهو في الباطن
كافر وراس هؤلاء ابن ابي وقد نزل فيه وفي امثاله ايات من البقرة وال
عمران والنساء والمائدة وسورة العنكبوت والاحزاب وكان هؤلاء
في اهل المدينة والبادية كما قال تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون
ومن اهل المدينة الاية وكان فيهم من هو في الاصل من المشركين وفيهم
من هو في الاصل من اهل الكتاب وسورة الفتح والقتال والحديد بل عامة
السور المدنية يذكر فيها المنافقين ثم ذكر ايات كثيرة الى ان قال و
المقصود بيان كثرة ما في القران من ذكرهم واوصافهم وهم في الظاهر
مسلمون وكانوا على عهده صلى الله عليه وسلم يلتزمون احكام الاسلام
الظاهرة لا سيما في اخر الامر ما لا يلتزمه كثير من المنافقين الذين بعدهم
لعز الاسلام وظهوره اذ ذاك بالحجة والسيف تحقيقا لقوله تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الاية
ولهذا قال حذيفة وكان من اعلم الصحابة بصفاتهم واعيانهم وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد اسر اليه عام تبوك اسماء جماعة منهم فلهذا
يقال صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ويروى ان عمر كان لا يصلي على احد
حتى يصلي عليه حذيفة لئلا يكون منهم قال حذيفة النفاق اليوم اكثر
منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية كانوا على عهد النبي
صلى الله عليه وسلم يسترونه واليوم يظهرونه وفي البخاري عن ابن ابي
مليكة ادركت ثلاثين من اصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه
وقد اخبر الله عن المنافقين انهم يصلون ويزكون وانه لا يقبل منهم قال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقال وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الاية وكانوا يشهدون مع النبي صلى الله عليه وسلم مغازيه ولما كثرت الاعاجم
في المسلمين تكلموا بلفظ الزنديق وشاعت في لسان الفقهاء وتكلموا
فيه هل تقبل توبته في الظاهر ام لا ومنهم من فصل والزنديق في عرفهم هو
المنافق الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الناس من
يقول الزنديق هو الجاحد المعطل وهذا في اصطلاح كثير من اهل الكلام و
الذي تكلم الفقهاء في حكمه هو الاول لان مقصودهم التمييز بين الكافر و
غيره والمرتد وغيره ومن اظهر ذلك او اسره وهذا يشترك فيه جميع انواع
الكفار والمرتدين وان تفاوتت درجاتهم فان الله اخبر بزيادة الكفر
كما اخبر بزيادة الايمان كما اخبر بزيادة عذاب بعضهم كقوله الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا الاية وهذا اصل ينبغي معرفته
فانه مهم في هذا الباب فان كثيرا ممن تكلم في مسائل الايمان والكفر
لتكفير اهل الاهواء لم يلحظوا هذا الباب ولم يميزوا بين الحكم الظاهر و
الباطن مع ان الفرق بين هذا وهذا ثابت بالنصوص المتواترة والاجماع
المعلوم ومن تدبر هذا علم ان كثيرا من اهل الاهواء والبدع قد يكون
مؤمنا مخطئا جاهلا ضالا عن بعض ما جاء به الرسول وقد يكون
منافقا زنديقا يظهر خلاف ما يبطن وهذا اصل اخر وهو انه قد جاء
في الكتاب والسنة وصف اقوام بالاسلام دون الايمان فقال تعالى
قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان
في قلوبكم الاية وقال فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها

غير

شبكة الألوكة www.alukah.net

غير بيت من المسلمين وقد ظن طائفتان ان هذه تقتضي ان مسماهما واحد
وعارضوا بين الايتين وليس كذلك بل هي توافق الاولى لان الله اخبر انه
اخرج من كان فيها مؤمنا وانه لم يجد الا اهل بيت من المسلمين وذلك ان
امراته في اهل البيت الموجودين ولم تكن من المخرجين الذين نجوا وكانت في
الظاهر مع زوجها على دينه وفي الباطن مع قومها على دينهم خائنة لزوجها
تدل على اضيافه كما قال تعالى فخانتاهما وخيانتهما في الدين لا في الفراش فانها
ما بغت امراة نبي قط اذ نكاح الكافرة قد يجوز واما نكاح البغي فهو دياثة
وقد صان الله الانبياء عنه ولهذا كان الصواب تحريم نكاح البغي حتى
تتوب وبهذا تظهر حكمة القران حيث ذكر القران الايمان لما اخبر
بالاخراج وذكر الاسلام لما اخبر بالوجود وايضا فقد قال تعالى ان المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ففرق بينهما فهذه ثلاث مواضع
في القران وفي الصحيحين عن سعد قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجالا ولم يعط رجلا فقلت يا رسول الله هو مؤمن فقال او مسلم ثم
غلبني ما اجد فذكر مرتين او ثلاثا وذكر انه يعطي رجالا ويدع من هو
احب اليه منهم خشية ان يكبهم الله في النار قال الزهري فكانوا يرون
ان الاسلام الكلمة والايمان العمل فاجاب سعدا بجوابين احدهما ان
هذا قد يكون مسلما لا مؤمنا الثاني ان كان مؤمنا وهو افضل من
اولئك فانا قد اعطي من هو اضعف ايمانا لئلا يحمله الحرمان على الردة
ومن هذا اعطى المؤلفة قلوبهم حينئذ فهؤلاء الذين اثبت لهم الاسلام
دون الايمان هل هم المنافقون الكفار في الباطن ام يدخل فيهم قوم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيهم بعض الايمان هذا انما تنازعوا فيه فقال طائفة هم المنافقون الذين
استسلموا في الظاهر ولم يدخل الى قلوبهم شي من الايمان وقالوا ان الله
يقول ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فما ليس من الاسلام فليس
بمقبول يوجب دخول الايمان فيه وقال الجمهور من السلف والخلف
بل هؤلاء قد لا يكونون كفارا بل معهم بعض الاسلام المقبول ويقولون
الاسلام اوسع من الايمان فكل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا ويقولون
في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يسرق السارق
حين يسرق وهو مومن انه يخرج من الايمان الى الاسلام ودوروا للاسلام دارة و
الايمان دارة اصغر منها في جوفها وقالوا اذا زنى خرج من الايمان الى
الاسلام ولا يخرجه من الاسلام الا الكفر ودليل ذلك انه قال قالت الاعراب
امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا الايتين وقوله ولما يدخل الايمان
في قلوبكم ينفي به ما قرب وجوده وانتظر ولم يوجد بعد فنقول لمن
ينتظر غائبا لا يجي بعد فلما قالوا امنا قيل لم تومنوا بعد بل الايمان
مرجو ينتظر منهم ثم قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم
شيئا اي لا ينقصكم من اعمالكم شيئا اي في هذه الحال فانه لو اراد الطاعة
بعد الايمان لم يكن فيه فائدة لهم ولا لغيرهم اذا كان من المعلوم ان
المؤمنين يثابون على الطاعة وايضا فالخطاب لهؤلاء الذين لا يدخل
الايمان في قلوبهم فلو لم يكونوا في هذه الحالة مثابين على الطاعة
لكان خلاف مدلول الخطاب يبين ذلك ان وصف المؤمنين الذي
اخرج هؤلاء منهم فقال انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم

ع س
حين يزني
الايمان الام

يرتابوا

يرتابوا وجاهدوا الاية وهذا نعت المحقق للايمان لامن معه مثقال ذرة منه
كما في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الايات ومنه قوله
لا يزني الزاني الايات الى اخره وامثال ذلك فدل على ان الايمان المنفي عن
الاعراب هو هذا الذي نفي عن فساق اهل القبلة الذين لا يخلدون في
النار وبتحقيق هذا المقام يزول الاشتباه في هذا الموضع ويعلم ان في
المسلمين قسما ليس منافقا محضا ولا من المؤمنين الذين قيل فيهم انما
المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فلا هم منافقون ولا هم
من هؤلاء الصادقين بل لهم طاعات ومعاص ومعهم من الايمان ما لا يخلد
معه في النار وله من الكبائر ما يستوجب دخول النار وهذا القسم قد يسميه
بعض الناس الفاسق الملي وهذا مما تنازع الناس في اسمه وحكمه والخلاف فيه
اول خلاف ظهر في الاسلام في مسائل اصول الدين فنقول لما قتل عثمان
وسار علي الى العراق وحصل بين الامة من الفتنة والفرقة يوم الجمل و
صفين ما هو مشهور خرجت الخوارج على الطائفتين جميعا وكان صلى
الله عليه وسلم قد اخبر بهم قال الامام احمد صح الحديث في الخوارج من عشرة
اوجه وهذه العشرة اخرجها مسلم في صحيحه وروى البخاري منها عدة اوجه
ومن اصحها احاديث علي وابي سعيد ففي الصحيحين عن علي انه قال اذا حدثتكم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فوالله لئن اخر من السماء الى الارض
احب الي من ان اكذب عليه وان حدثتكم فيما بيني وبينكم فان الحرب
خدعة واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم في
اخر الزمان حداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البرية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لايجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما
لقيتموهم فاقتلوهم فان قتلهم عند الله اجر لمن قتلهم يوم القيمة وفي
حديث ابي سعيد في الصحيح يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق ثم
قال شر الخلق او من شر الخلق تقتلهم ادنى الطائفتين الى الحق قال ابو سعيد
انتم قتلتموهم يا ... وفي لفظ قتلتهم احدى الطائفتين الى الحق وهذا
مع ما ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال للحسن ان ابني هذا سيد ولعل الله
ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين فبين ان كلا الطائفتين
كانت مؤمنة وان اصلاحهما احب الى الله ورسوله من اقتتالهما وان لم يكن
مأمورا به فعلي واصحابه اقرب الى الحق من معاوية واصحابه وان قتال الخوارج
مما امر به النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا اتفق على قتالهم الصحابة والائمة و
هؤلاء الخوارج لهم اسماء الحرورية لانهم خرجوا بمكان يقال له حروراء ويقال
لهم اهل النهروان لان عليا قاتلهم هناك ومن اصنافهم الاباضية اتباع
عبد الله بن اباض والازارقة اتباع نافع بن الازرق والنجدات اصحاب النجدة
الحروري وهو اول من كفر اهل القبلة بالذنوب بل هم بما يرونه هم من الذنوب
واستحلوا دماء اهل القبلة بذلك فكانوا كما نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم
يقتلون اهل الاسلام ويدعون اهل الاوثان وكفروا عليا وعثمان و
من والاهما وقتلوا عليا مستحلين لقتله وكانوا مجتهدين في العبادة
لكن كانوا جهالا فارقوا السنة والجماعة فقالوا ما الناس الا مؤمن وكافر
والمؤمن من فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات فمن لم يكن كذلك
فهو كافر مخلد في النار ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك فقالوا

ان

فقالوا ان عثمان وعليا ونحوهما حكموا بغير ما انزل الله وظلموا وصاروا
كفارا ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة فان الله امر
بقطع يد السارق دون قتله ولو كان كافرا مرتدا لوجب قتله لان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من بدل دينه فاقتلوه وقال لا يحل دم امرئ مسلم الا
باحدى ثلاث كفر بعد اسلام وزنا بعد احصان او قتل نفس يقتل بها
وامر سبحانه ان يجلد قاذف المحصن ثمانين جلدة ولو كان كافرا لامر بقتله
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجلد شارب الخمر ولم يقتله وايضا فان الله
تعالى قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الايتين
فوصفهم بالايمان والاخوة وامر باصلاح بينهم فلما شاع في الامة امر
الخوارج وتكلمت الصحابة فيهم ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم الاحاديث
فيهم وبينوا ما في القران من الرد عليهم ظهرت بدعتهم في العامة فجاءت
بعدهم المعتزلة اتباع عمرو بن عبيد الذين اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن
البصري وهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطا الغزال واتباعهما فقالوا
لاهل الكبائر يخلدون في النار كقول الخوارج ولا نسميهم لا مؤمنين
ولا كفارا بل فساقا ننزلهم منزلة بين منزلتين وانكروا شفاعة النبي
صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر وان يخرج احد من النار وقالوا ما الناس
الا رجلان رجل لا يعذب وشقي لا ينعم وهؤلاء يرد عليهم بمثل ما رد به
على الخوارج وقد قال الله في كتابه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فجعل ما دون الشرك معلقا بمشيئته ولا يجوز
ان يحمل على التائب لانه لا فرق في حقه بين الشرك وغيره كما في قوله ان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله يغفر الذنوب جميعاً فهنا عمم واطلق لان المراد به التائب وهناك خصص
واطلق وقال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقسم
سبحانه الامة التي اورثها الكتاب واصطفاها ثلاثة اصناف ظالم
لنفسه ومقتصد وسابق وهؤلاء الثلاثة ينطبقون على الطبقات الثلاث
المذكورة في حديث جبرئيل الاسلام والايمان والاحسان ومعلوم ان الظالم
ان اريد به من اجتنب الكباير او التائب من الذنوب فذلك مقتصد
او سابق فانه ليس احد من بني ادم يخلو عن ذنب لكن من تاب كان مقتصداً
وسابقاً وكذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات فلا بد ان يكون
هنالك ظالم النفسه موعود بالجنة ولو بعد عذاب يطهره من الخطايا فان
النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ان ما يصيب المؤمن في الدنيا من المصائب هو
مما يجزى به وتكفر به خطاياه وايضا فقد تواترت الاحاديث بخروج اقوام
من النار بعد ما دخلوها وانه صلى الله عليه وسلم يشفع في اقوام دخلوا
النار وهي حجة على الوعيدية الذين يقولون من دخلها لم يخرج وعلى
المرجئة الواقفة الذين يقولون لا ندري هل يدخل احد من اهل التوحيد
النار ام لا واما ما يذكر عن غلاتهم انه لا يدخل النار من اهل التوحيد احد
فلا نعرف مشهوراً من المنسوبين في العلم يذكر عنه هذا وايضا فان
النبي صلى الله عليه وسلم قد شهد للشارب المجلود مرات انه يحب الله ورسوله
ونهى عن لعنته ومعلوم ان من احب الله ورسوله احبه الله ورسوله بقدر
ذلك وايضا فالذين قذفوا عايشة كان فيهم مسطح من اهل بدر وقد
انزل الله فيه لما حلف ابو بكر لا يصله ولا ياتل اولوا الفضل منكم الاية وان

قبل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قيل انه وامثاله تابوا لكن الله لم يشترط في الامر بالمعروف بالعفو عنهم والاحسان
اليهم التوبة وكذلك حاطب لما كاتب المشركين فلما اراد عمر قتله قال النبي
صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما
شئتم فقد غفرت لكم وفي الصحيح لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة و
هذه النصوص تقتضي ان تلك السيئات مغفورة بتلك الحسنات ولم
يشترط التوبة والا فلا اختصاص لهم بهذه واذا قيل ان هذا لان احدا منهم لم
يكن له الا صغائر لم يكن ذلك من خصائصهم وايضا قد دلت نصوص الكتاب
والسنة على ان عقوبة الذنوب تزول بنحو عشرة اسباب احدها التوبة و
هذا متفق عليه الثاني الاستغفار كما في الصحيح لو لم تذنبوا لذهب الله بكم
ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم وقد يقال ان الاستغفار
هو مع التوبة كما ان في حديث ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم مائة
مرة وقد يقال الاستغفار بدون التوبة ممكن واقع فان كان مع التوبة
فهو عام وان لم يكن معها فيكون في حق بعض المستغفرين الذين يحصل
لهم عنده من الخشية والانابة ما يمحو الذنوب كما في حديث البطاقة
لما قالها بنوع من الصدق والاخلاص كما غفر للبغي بسقي الكلب لما حصل
في قلبها اذ ذاك من الايمان كبير وامثال ذلك كثير الثالث الحسنات
الماحية كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال صلى الله عليه وسلم
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات
لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وقال فتنة الرجل في اهله وماله وولده
تكفرها الصلوة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن

المنكر وقال من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من
النار حتى فرجه بفرجه وهذه الاحاديث وامثالها في الصحاح وسوالهم
على هذا ان يقولوا الحسنات انما تكفر الصغاير كما جاء ما اجتنبت الكباير
فيجاب عن هذا بوجوه احدها ان هذا الشرط جاء في الفرايض كالصلوات
الخمس والجمعة وذلك ان الله يقول ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم فان الفرايض مع ترك الكباير مقتضي لتكفير السيئات و
اما الاعمال الزايدة من التطوعات فلا بد ان يكون لها ثواب اخر فان الله
سبحانه يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره
الثاني انه قد جاء التصريح في كثير من الاحاديث بان المغفرة قد تكون
مع الكباير كما في قوله غفر له وان كان فر من الزحف وفي السنن اتينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد اوجب فقال اعتقوا
عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار وفي الصحيحين و
ان زنا وان سرق **الثالث** ان قوله لاهل بدر رضي الله عنهم اعملوا ما شيتم
فقد غفرت لكم ان حمل على الصغاير **الرابع** انه قد جاء في غير حديث
او مع التوبة لم يكن فرق بينهم وبين غيرهم فكما لا يجوز حمله على الكفر لما علم
انه لا يغفر الا بالتوبة لا يجوز حمله على الصغاير **الخامس** انه قد جاء في
غير حديث ان اول ما يحاسب عليه العبد يوم القيمة الصلوة فان اكملها
والا قيل انظروا هل له من تطوع فان كانت له اكملت به الفريضة ثم يصنع
بساير اعماله كذلك ومعلوم ان هذا النقص لا يكون ترك مستحب
فانه لا يحتاج الى جبران ولانه حينئذ لا فرق بين ذلك المستحب المفعول

والمتروك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمتروك فعلم انه يكمل نقص الفرايض من التطوعات وهذا لا ينافي ما ورد
ان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة مع انه لو كان معارضا لوجب تقديم
الاول لانه اثبت واشهر وهذا غريب رفعه وذلك لان قبول النافلة يراد
به الثواب عليه ومعلوم انه لا يثاب على النافلة حتى تؤدى الفريضة لانه
اذا فعل النافلة مع نقص الفريضة كان جبرا لها فلم يكن فيها ثواب نافلة
ولهذا قال بعض السلف النافلة لا تكون الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لان الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وغيره يحتاج الى المغفرة وتاول
على هذا قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ومن العجب ان المعتزلة يفتخرون
بانهم اهل التوحيد والعدل وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفيا يستلزم
التعطيل والاشراك واما العدل الذي وصف الله به نفسه فهو لا يظلم
مثقال ذرة وانه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وهم يجعلون جميع حسنات العبد ايمانه حابطا بذنب واحد
من الكباير وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه فكان وصف الرب
سبحانه بالعدل الذي وصف به نفسه اولى من العدل هو التكذيب
بقدر الله **السادس** ان الله لم يجعل شيئا يحبط جميع الحسنات الا الكفر
كما انه لم يجعل شيئا يحبط جميع السيئات الا التوبة والمعتزلة مع الخوارج
يجعلون الكبائر محبطة لجميع الحسنات حتى الايمان قال الله تعالى ومن
يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم الاية فعلق
الحبوط بالموت على الكفر وقال ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وقال
تعالى لما ذكر الانبياء ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله ذلك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم لان ذلك كفر

وقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية لان ذلك قد يتضمن الكفر

فيقتضي الحبوط وصاحبه لا يدري نهاهم عن ذلك لئلا يفضي الى الكفر

ولا ريب ان المعصية قد تكون سببا للكفر كما قال بعض السلف المعاصي

بريد الكفر قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة

او يصيبهم عذاب اليم والفتنة الكفر وابليس خالف امر الله فصار كافرا

وغيره اصابه عذاب اليم وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بقوله انما يتقبل

الله من المتقين قالوا فصاحب الكبيرة ليس من المتقين فلا يتقبل منه عملا و

اعظم الحسنات الايمان فلا يكون معه ايمان واجابتهم المرجئة بان المراد

من يتقي الكفر فقالوا لهم اسم المتقين في القران يتناول المستحقين للثواب

كقوله ان المتقين في جنات ونهر وابنا ادم حين قربا لم يكن المردود

قربانه حينئذ كافرا وانما كفر بعد ذلك وايضا فما زال السلف يخافون

من هذه الاية ولو اريد بها من يتقي الكفر لم يخافوا وايضا فاطلاق لفظ

المتقين والمراد به من ليس كافرا لا اصل له في خطاب الشارع والجواب

الصحيح ان المراد من اتقى الله في ذلك العمل كما قال الفضيل ان العمل اذا

كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل والخالص ان يكون لله والصواب ان

يكون على السنة فمن اتقى الكفر وعمل عملا ليس عليه امر النبي صلى الله عليه وسلم

لم يقبل منه واذا صلى بغير وضوء لم يقبل منه لانه لم يكن متقيا في ذلك العمل

وان كان متقيا للشرك وخوف من خاف من السلف الا يتقبل منه لخوفه

الا يكون اتى بالعمل على الوجه المامور وهذا اظهر الوجوه في استثناء من

استثنى

استثنى في الايمان وفي اعمال الايمان كقول احدهم انا مؤمن ان شاء الله وصليت
ان شاء الله لا يجوز ان يراد بالاية ان الله لا يتقبل الا ممن اتقى الذنوب كلها
لان الكافر والفاسق حين يريد ان يتوب ليس متقيا وقد كان الناس
يسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم ذنوب معروفة
وعليهم تبعات فيقبل اسلامهم وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء السبب السابع
الدافع للعقاب دعاء المؤمنين للمؤمن من مثل صلوتهم على جنازته
ففي مسلم عن ابن عباس رفعه ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته
اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه وهذا دعاء له بعد
الموت فلا يجوز ان تحمل المغفرة على المؤمن التقي لانه مغفور له عند
المنازعين فعلم ان هذا الدعاء من اسباب المغفرة الثامن ما
يعمل عنه من اعمال البر كالصدقة ونحوها فان هذا ينتفع به بنصوص السنة
الصحيحة واتفاق الائمة ولا يجوز ان يعارض بقوله وان ليس للانسان الا
ما سعى لوجهين احدهما انه قد ثبت بالنصوص المتواترة والاجماع ان
المؤمن ينتفع بما ليس من سعيه كدعاء الملائكة واستغفارهم له ودعاء
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين واستغفارهم كقوله ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الاخر الاية الثاني ليس في ظاهرها الا انه ليس له
الا سعيه وهذا حق فانه لا يستحق الا سعيه واما سعي غيره فلا يستحقه لكن
هذا لا يمنع ان يرحمه الله وينفعه به كما انه يرحم عباده باسباب خارجة
عن مقدورهم وهو سبحانه برحمته وحكمته يرحم العباد باسباب يفعلها

العباد ليثيب اولئك ويرحم الجميع كما في الصحيح ما من رجل يدعو لاخيه بدعوة الا وكل الله بها ملكا كلما دعا لاخيه قال الملك الموكل به امين ولك بمثل التاسع في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في اهل الذنوب يوم القيمة العاشر المصائب في الدنيا الحادي عشر ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة الثاني عشر اهوال القيمة الثالث عشر رحمة الله ومغفرته بلا سبب من العباد فاذا ثبت ان الذم والعقاب قد يدفع عن اهل الذنوب بهذه الاسباب كان دعواهم ان عقوبات اهل الكباير لا تدفع الا بالتوبة مخالفا لذلك

فصل

فهذان القولان قول الخوارج الذين يكفرون بمطلق الذنوب وقول من يخلدهم في النار ويقول ليس معهم من الايمان شي لم يذهب اليهما احد من الايمة وكذلك قول من وقف فيهم في اهل الكباير من غلاة المرجية وقال لا اعلم ان احدا منهم يدخل النار بل السلف متفقون على ما تواترت به النصوص من انه لا بد ان يدخل النار قوم من اهل القبلة ثم يخرجون و اما من جزم بانه لا يدخل النار احد من اهل القبلة فلا اعرفه قولا لاحد وبعده قول من يقول ما ثم عذاب اصلا وانما هذا تخويف بما لا حقيقة له وهذا من اقوال الكفار وربما احتج بعضهم بقوله ذلك الذي يخوف الله به عباده وهذا شبيه بقول الملاحدة والقرامطة ان الرسل خاطبوا الناس بما لا حقيقة له في الباطن اذ كان لا يمكن تقويمهم الا بهذه الطريق وقد اشبه هؤلاء في بعض الامور ملاحدة المتصوفة الذين يجعلون فعل المامور وترك المحظور واجبا على السالك حتى يصير عارفا وليا ولو

قوله

قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واليقين ههنا الموت وما بعده
كقوله وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين وهؤلاء قد يشهدون
القدر اولاً وهي الحقيقة الكونية ذلك تمييز فيه بين المأمور والمحظور ثم
ينتقلون الى المشهد الثالث الذي لا طاعة ولا معصية وهو مشهد اهل
الوحدة وهذا غاية الحاد جهمية الصوفية كما ان القرمطة اخر الحاد الشيعة
وكل من الالحادين يتقاربان وفيهما من الكفر ما ليس في دين اليهود والنصارى
ومشركي العرب ثم بعد ذلك تنازع الناس في اسم المؤمن والايمان نزاعاً منه
لفظي وكثير منه معنوي كتنازعهم في الايمان هل يزيد وينقص وهل يستثنى
فيه ام لا وهل الفاسق الملي كامل الايمان ام لا والماثور عن الصحابة والتابعين
وجمهور السلف ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص والقول المطلق والعمل
المطلق في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان وعمل القلب و
الجوارح فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين ولا
سيما قول الا بالتفصيد كقوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ولا بد
ان يدخل فيه اعتقاد القلب اعمال القلب المقارنة لتصديقه مثل حب
الله وخشيته والتوكل على الله ونحو ذلك وانكر حماد بن ابي سليمان ومن
اتبعه تفاضل الايمان ودخول الاعمال فيه والاستثناء فيه وهؤلاء هم
مرجئة الفقهاء واما ابراهيم النخعي امام اهل الكوفة شيخ حماد ومن قبله من
اصحاب ابن مسعود وكانوا من اشد الناس مخالفة للمرجئة لكن حماد خالف
سلفه ومن تبعه ودخل في هذا طوائف ثم ان السلف اشتد انكارهم
على هؤلاء وتبديعهم وتغليظ القول فيهم ولم اعلم احداً منهم نطق بتكفيرهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن نقل عن احمد او غيره تكفير الهم فقد غلط غلطا شديدا عظيما و
المحفوظ عن احمد وامثاله انما هو تكفير الجهمية ولم يكفر القدرية اذا اقروا
بالعلم مع ان احمد لم يكفر اعيان الجهمية بل صلى خلفهم وكان يعتقد امامتهم
ويدعو لهم وهؤلاء المعروفون من الفقهاء مثل حماد وابي حنيفة كانوا
يجعلون قول اللسان واعتقاد القلب من الايمان لم يختلف قولهم في ذلك
ولا نقل عنهما انهم قالوا الايمان مجرد تصديق القلب لكن هذا المحكي عن الجهم
واشتد نكيرهم له حتى اطلق وكيع واحمد وغيرهما كفر من قال ذلك وقالوا ان
فرعون وابا طالب واليهود وامثالهم عرفوا بقلوبهم وجحدوا بالسنتهم
واصل نزاع هذه الفرق في الايمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم
انهم جعلوا الايمان شيئا واحدا اذا زال بعضه زال جميعه فلم يقولوا بذهاب
بعضه وبقاء بعضه كما قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من ايمان وعدوا السلف والجماعة متناقضين حيث قالوا
الايمان قول وعمل وقالوا مع ذلك لا يزول بزوال بعض الاعمال حتى ان ابن
الخطيب وامثاله جعلوا الشافعي متناقضا في ذلك وقد ذكر الاجماع
فلما صنف
الخطيب فيه وهو يقول بقول جهم والصالحي استشكل قول الشافعي ورآه
متناقضا وجماع شبهتهم ان الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض اجزائها
كالعشرة قالوا فاذا كان الايمان مركبا من اقوال واعمال لزم زواله بزوال
بعضها لانه يلزم ان يكون الرجل مؤمنا بما فيه من الايمان كافرا بما فيه من
الكفر فيقوم به كفر وايمان واعتقدوا ان هذا خلاف الاجماع منقول ولا حول

ولا قوة الا بالله الكلام في طرفين احدهما ان شعب الايمان هل هي متلازمة
في الانتفاء والثاني هل هي متلازمة في الثبوت اما الاول فان الحقيقة الجامعة
لامور اذا زال بعضها قد يزول سائرها وقد لا يزول كما مثلوا به من العشرة
مطابق فان الواحد من العشرة اذا زال لم يلزم زوال التسعة لكن ذلك المجتمع
المركب ما بقي على تركيبه واما زوال الاسم او لا هذا بحث لفظي اذا قدر ان الايمان
له ابعاض وشعب كما ان الصلوة والحج له اجزاء وشعب ولا يلزم من زوال
شعبة من شعبه زوال سائره والمركبات على وجهين منها ما يكون التركيب
شرطا في اطلاق الاسم ومنها ما لا يكون كذلك فالاول كاسم العشرة والسكنجبين
ومنها ما يبقى الاسم بعد زوال بعض الاجزاء فان المكيلات والموزونات تسمى
حنطة وهي بعد النقص حنطة وكذلك التراب والماء ونحو ذلك يطلق
الاسم عليها قليلها وكثيرها وعند زوال بعض الاجزاء وبقاء بعض وكذلك
لفظ القران فيقال على جميعه وعلى بعضه ولو نزل قران اكثر من هذا لسمي
قرانا وقد تسمى الكتب القديمة قرانا كقول النبي صلى الله عليه وسلم خفف على
داود القران وكذلك لفظ الانسان والفرس يقال على الحيوان المجتمع الخلق
ثم يذهب كثير من اعضائه والاسم باق اذا كانت المركبات على نوعين بل
غالبها من هذا النوع لم يصح قولهم اذا زال الجزء ان لزم ان يزول الاسم اذ ا
امكن ان يبقى الاسم مع بقاء الجزء الباقي ومعلوم ان اسم الايمان من هذا الباب
فان النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومن المعلوم انه اذا زال
الاماطة ونحوها لم يزل اسم الايمان وفي الصحيحين يخرج من النار من كان

في قلبه مثقال حبة من ايمان فاخبر انه يتبعض ويبقى بعضه وان زال
من الايمان فعلم اذا بعض الايمان يزول ويبقى بعضه وهذا ينقض مآخذهم
الفاسدة ويبين اسم الايمان مثل اسم القران والصلوة والحج ونحو ذلك
والصلوة فيها اجزاء تنقص بزوالها عن كمال الاستحباب واجزاء تنقص بزوالها
عن الكمال الواجب مع الصحة في مذهب ابي حنيفة واحمد ومالك ينبغي ان
يقال الا فالبعض الاخر قد يكون شرطا في ذلك البعض وقد لا يكون والشرط
كمن امن ببعض القران وكفر ببعض او ببعض الرسل وكفر ببعض وقد لا يكون
المتروك ليس شرطا في وجود الاخر ولا قبوله وحينئذ قد يجتمع في الانسان
ايمان ونفاق وبعض شعب الايمان وشعبة من شعب الكفر كما في
الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا
خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى
يدعها اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا عاهد غدر وفي الصحيح عنه
من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق و
فيهما لا ترغبوا عن ابائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن ابائكم وفيهما عنه ليس
من رجل ادعى الى غير ابيه وهو يعلمه الا كفر ومن ادعى ما ليس له فليس منا
وليتبوء مقعده من النار ومن رمى رجلا بالكفر او قال عدو الله وليس
كذلك الا رجع عليه وذكر حديث الحديبية اصبح من عبادي مؤمن بي
وكافر وقال ابن عباس وغير واحد في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون كفر دون كفر وفسق دون فسق وظلم دون ظلم الاصل
الثاني ان شعب الايمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم

عند الضعف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الضعف فاذا قوي ما في القلب من التصديق والمعرفة والمحبة اوجب
بغض اعداء الله كما قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله وقد يحصل من الرجل نوع من موادتهم لرحم او حاجة
فيكون ذنبا ينقص به ايمانه ولا يكون كافرا كما حصل من حاطب وكما حصل
من سعد لما انتصر لابن ابي ولهذه الشبهة سمى عمر حاطبا منافقا فكان
عمر متأولا للشعبة التي فعلها وكذلك قول اسيد بن حضير لسعد كذبت
لعمر الله لنقتلنه انما انت منافق تجادل عن المنافقين هو من هذا
الباب وكذلك قول من قال عن مالك بن الدخشن منافق انما قاله
لما راى فيه من نوع مودة للمنافقين ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق
نوعا واحدا بل فيهم المنافق المحض وفيهم من فيه ايمان ونفاق وفيهم
من ايمانه غالب وفيه شعبة نفاق وكان كثير ذنوبهم بحسب ظهور
الايمان ولما قوي الايمان عام تبوك صاروا يتعاتبون من النفاق
على ما لم يكونوا يتعاتبون عليه قبل ذلك ومن هذا ما يروى عن الحسن وغيره
انهم سموا الفساق منافقين فجعل اهل المقالات هذا مخالفا للجمهور
والحسن لم يقل ما خرج به عن الجماعة لكن سماه منافقا على الوجه الذي
ذكرناه ولهذا اكثر ما يقال كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل ونفاق اكبر ونفاق
اصغر كما يقال الشرك شركان اكبر واصغر وفي الترمذي مرفوعا من حلف
بغير الله فقد اشرك وبهذا تبين ان الشارع ينفي اسم الايمان عن الشخص
لانتفاء كماله الواجب كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقوله
من غشنا فليس منا وبهذا تبين ان الرجل قد يكون مسلما لا مؤمنا ولا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

منافقا مطلقا بل معه اصل الايمان دون حقيقته الواجبة ولهذا انكر احمد و
غيره من الائمة على من فسر قوله فليس منا او ليس من خيارنا وقال هذا تفسير
المرجئة وكذلك تفسير المعتزلة بانه يخرج من الايمان بالكلية تاويل منكر الى
ان قال فلا بد في الايمان الذي في القلب من تصديق بالله ورسوله وحب
الله ورسوله والا فمجرد التصديق ليس ايمانا باتفاق المسلمين وليس مجرد
التصديق والعلم يستلزم الحب الا اذا كان القلب سليما من المعارض و
الحسد والكبر ولا شيء احب الى القلوب السليمة من الله وهذا هو الحنيفية ملة
ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فالعلم يقوي العمل والعمل يقوي بالعلم فمن عرف
الله وقلبه سليم احبه وكلما ازداد له معرفة ازداد حبه وكلما ازداد حبه له
ازداد ذكره له ومعرفته باسمائه وصفاته كما ان البغض يوجب الاعراض عن ذكر
المبغض فمن عادى الله ورسوله كان ذلك مقتضيا للاعراض عن ذكر الله و
رسوله بالخير وعن ذكر ما يوجب المحبة فيضعف به علمه به حتى ينساه كما
قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله الاية وقال ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا الاية وقد حصل له مع ذلك تصديق وعلم تام من شرط الايمان بالله
وجود العلم التام ولهذا كان الصواب ان الجهل ببعض اسماء الله وصفاته
لا يكون صاحبه كافرا الا اذا كان مقرا بما جاء به الرسول ولم يبلغه ما يوجب
العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره اذا لم يعلمه الحديث الذي امر اهله بتحريقه
بل العلماء بالله يتفاضلون في العلم به ولهذا يوصف من لم يعمل بعلمه
بالجهل وعدم العلم لقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
الاية وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل و

جهل

والجهل هنا هو الكلام الباطل ومن هنا سميت الجاهلية جاهلية وهي
متضمنة لعدم العلم او لعدم العمل به والنفس اذا حصل لها مرض فسدت
احبت ما يضرها وابغضت ما ينفعها فتصير النفس كالمريض الذي يتناول
ما يضره لشهوة نفسه له مع علمه انه يضره وهذا معنى ما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات ويحب العقل
الكامل عند حلول الشهوات ورواه البيهقي مرسلا وقال تعالى انما المؤمنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية فاخبر ان هؤلاء هم الصادقون
في قولهم امنا ودل على ان الناس في قولهم امنا منهم صادق وكاذب والكاذب
فيه نفاق بحسب كذبه قال تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وما هم بمؤمنين الى قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وفي
الحديث اساس النفاق الذي بني عليه الكذب وقال فاعقبهم نفاقا في
قلوبهم الاية وعامة فرق الامة تدخل ما هو من اعمال القلوب حتى عامة فرق
المرجئة وانما نازع في ذلك من اتبع جهم منهم وهذا شاذ كما ان قول الكرامية
الذين يقولون مجرد قول اللسان شاذ وهذا مما ينبغي الاعتناء به قال كثير
ممن تكلم في مسئلة الايمان هل تدخل فيه الاعمال فظن ان الاعمال النزاع في
اعمال الجوارح وان المراد بالقول قول اللسان وهذا غلط بل القول المجرد
عن اعتقاد ليس ايمانا بالاتفاق الا من شذ من اتباع ابن كرام وكذلك
تصديق القلب الذي ليس معه حب الله ولا تعظيم له بل فيه بغض وعداوة
لله ولرسوله ليس ايمانا بالاتفاق فليس مجرد التصديق بالباطن هو الايمان
عند عامة المسلمين الا من شذ من اتباع جهم والصالحي وفي قولهما من

العقلية والمخالفة في الاحكام الدينية اعظم مما في قول ابن كرام
وقول ابن كرام فيه مخالفة في الاسم دون الحكم فانه وان سمى المنافقين مؤمنين
يقول انهم مخلدون في النار **فصل** اذا عرف ان اصل الايمان في
القلب فاسم الايمان يطلق تارة على ما في القلب من الاقوال القلبية والاعمال
القلبية من التصديق والمحبة والتعظيم ونحو ذلك وتكون الاقوال الظاهرة
والاعمال لوازمه وموجباته ودلايله وتارة على ما في القلب والبدن جعل المقتضى
للايمان داخلاً في مسماه وبهذا يتبين ان الاعمال الظاهرة تسمى اسلاماً فانها
تدخل في مسمى الايمان تارة ولا تدخل فيه تارة وذلك لان الاسم الواحد تختلف
دلالته بالافراد والاقتران فقد يكون عند الافراد فيه عموم المعنيين و
عند الاقتران لا يدل الا على احدهما كلفظ الفقير والمسكين اذا افرد احدهما
يتناول الاخر واذا جمع بينهما كان لكل واحد مسمى يخصه وكذلك لفظ
المعروف والمنكر اذا اطلقا كما في قوله تعالى يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
دخل فيه الفحشاء والبغي واذا قرن بالمنكر احدهما كقوله ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر او كلاهما كقوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي كان
اسم المنكر مختصاً بما خرج عن ذلك على قول او متناولاً للجميع بناء على ان
الخاص المعطوف على العام هل يمنع شمول العام له او يكون قد ذكر مرتين
والاقوال والاعمال الظاهرة موجب الاعمال الباطنة ولوازمها واذا افرد
اسم الايمان فقد يتناول لهذا وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم الايمان
بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق وحينئذٍ فيكون الاسلام داخلاً في مسمى الايمان وجزءاً منه

فيكا

فيقال حينئذ ان الايمان اسم لجميع الطاعات الباطنة والظاهرة ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس امركم بالايمان بالله الى اخره ففسره
هنا بما فسر به الاسلام لانه اراد بالشهادتين هنا ان يشهد ان لا اله
الا الله بهما باطنا وظاهرا والخطاب للوفد وهم من اخيار الناس وهم اول
من صلى الجمعة بعد اهل المدينة واما اذا قرن الايمان بالاسلام فالايمان
في القلب والاسلام ظاهر كما في المسند الاسلام علانية والايمان في القلب
والايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت
وتؤمن بالقدر خيره وشره ومتى حصل هذا وجب ضرورة ان يحصل
الاسلام الذي هو الشهادتان والصلوة والزكوة والصيام والحج لان
الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله يقتضي الاستسلام له والانقياد
له ومن الممتنع ان يحب الانسان غيره حبا جازما وهو قادر على مواصلته
ولا يحصل منه حركة ظاهرة الى ذلك وابو طالب انما كانت محبته للنبي
صلى الله عليه وسلم للقرابة لا لله وانما نصره للحمية ولهذا لم يتقبل الله ذلك
منه والا فلو كان عن ايمان لتكلم بالشهادتين ضرورة والسبب الذي
اوجب نصره له هو الحمية هو الذي اوجب امتناعه من الشهادتين
بخلاف التصديق ونحوه قال تعالى وسيجنبها الاتقى الى اخرها و
منشا الغلط من وجوه احدها ان العلم والتصديق مستلزم لجميع
موجبات الايمان الثاني ظن الظان ان ما في القلوب لا يتفاضل
الناس فيه الثالث ظن الظان ان ما في القلب من الايمان لا يمكن
تخلف العمل الظاهر عنه الرابع ظن الظان ان ليس في القلب الا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

التصديق وان ليس الظاهر الا عمل الجوارح والصواب ان القلب له
عمل مع التصديق وبكل حال فالعمل تحقيق المسمى الايمان وتصديق له
ولهذا قال طائفة من العلماء الايمان كله تصديق فالقلب يصدق
ما جاءت به الرسل واللسان يصدق ما في القلب والعمل يصدق القول
كما يقال صدق قوله عمله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم العينان
تزنيان وزناهما النظر والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليد
تزني وزناها تناول الحرام والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يكذب
ذلك او يصدقه والتصديق يستعمل في الخبر وفي الارادة يقال
فلان صادق القول وصادق المحبة وحملوا حملة صادقة ومن كان
مؤمنا بالله ورسوله بقلبه هل يتصور اذا راى الرسول واعداؤه
يتقاتلون وهو قادر على ان ينظر اليهم ويحض على نصر الرسول
ما لا يضره هل يمكن مثل هذا في العادة الا يكون منه حركة ما الى
نصر الرسول فمن المعلوم ان هذا ممتنع فلهذا كان الجهاد المتعين
بحسب الامكان من الايمان وكان عدمه دليل على انتفاء حقيقة
الايمان بل ثبت في الصحيح من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه
بالغزو مات على شعبة نفاق وفيه دلالة على انه يكون فيه بعض
شعب النفاق مع ما معه من الايمان ومنه قوله انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية وفي الصحيح من راى منكم منكرا
فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
وذلك اضعف الايمان وفي رواية وليس وراء ذلك من الايمان

حبة خردل فهذا يبين ان القلب اذا لم يكن فيه بغض ما يكرهه الله من المنكرات كان عادماً للايمان ومن المعلوم ان ابليس ونحوه يعلمون ان الله عز وجل حرم هذه الامور ولا يبغضونها بل يدعون اليها و ايضاً فان الله تعالى قال الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت وقال فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى فتبين ان الطاغوت يؤمن به ويكفر به ومعلوم ان التصديق بوجوده وما هو عليه من الصفات يشترك فيه المؤمن والكافر فان الاصنام والشيطان والسحر يشترك في العلم بحاله المؤمن والكافر قال تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق فهؤلاء الذين اتبعوا ما تتلوا الشياطين ونبذوا كتاب الله يعلمون ان لا خلاق لهم في الاخرة ومع هذا يكفرون وكذلك المؤمن بالجبت والطاغوت اذا كان عالماً بما يحصل من التفريق بين المرء وزوجه ونحو ذلك من الجبت وكان عالماً باحوال الشياطين والاصنام وما يحصل بها من الفتنة لم يكن مؤمناً مع العلم باحوالها ومعلوم انه لم يعتقد احد فيها انها تخلق وتفعل ما تشاء ونحو ذلك من خصايص الربوبية ولكنهم يعتقدون انه يحصل بعبادتها نوع من المطلوب كما كانت الشياطين تخاطبهم من الاصنام وتخبرهم بامور وكما يوجد مثل ذلك في هذه الازمان وكان كفرهم هو الخضوع لها والدعاء والعبادة واتخاذها وسيلة ونحو ذلك لا مجرد التصديق بما يكون عند ذلك من الاثار فان هذا يعلمه

شبكة الألوكة www.alukah.net

العالم من المؤمنين لكنه يبغضه والكافر قد يعلم لكنه يحمله حب العاجلة
على الكفر بنبيه فقوله من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا الاية فذكر تعالى من كفر
بالله من بعد ايمانه وذكر وعيده ثم قال ذلك بانهم استحبوا الحيوة
الحيوة الدنيا على الاخرة يبين تعالى ان الوعيد استحقوه بهذا و
هؤلاء يقولون انما استحقوا للزوال التصديق وايضا فانه
استثنى المكره ولو كان الكفر لا يكون الا بتكذيب القول وجهله
لم يستثن منه المكره ولان الاكراه على ذلك ممتنع فعلم ان التكلم فصل
بالكفر كفر الا في حال الاكراه وقوله ولكن من شرح بالكفر صدرا اي
لاستحبابه الدنيا على الاخرة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يصبح مؤمنا
ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا والاية نزلت في عمار
وبلال واشباههما من المستضعفين لما اكرهوهم على سب النبي
صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من الكلمات فمنهم من اجاب بلسانه
كعمار ومنهم من صبر على المحنة كبلال ولم يكره احد منهم على خلاف ما
في قلبه بل اكره على التكلم به فمن تكلم بدون الاكراه لم يتكلم الا
وصدره منشرح به وايضا فقد جاء نفر من اليهود الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا نشهد انك لرسول الله ولم يكونوا مسلمين بذلك لانهم
قالوه على سبيل الاخبار اي نعلم ونجزم انك رسول الله قال فلم لا تتبعوني
قالوا نخاف من يهود فعلم ان مجرد العلم والاخبار ليس بايمان حتى يتكلم
به على وجه الانشاء المتضمن للالتزام والانقياد فالمنافقون قالوا مخبرين

كاذبين

كاذبين فكانوا كفارًا في الباطن وهؤلآء قالوها غير مترهين فكانوا كفارًا
في الظاهر والباطن وكذلك ابو طالب كان يعلم نبوة محمد لكن امتنع من
الاقرار بالتوحيد والنبوة حبًا لدين سلفه وكراهة ان يعيره قومه فلما لم
يقترن بعلمه الانقياد والحب الذي يعلم يمنع ما يضاد ذلك من حب الباطل
وكراهة الحق لم يكن مؤمنًا واما ابليس وفرعون واليهود ونحوهم فما قام
بانفسهم من الكبر وارادة العلو والحسد منع من حب الله وعبادة القلب
له الذي لا يقوم الايمان الا به وصار في القلب من كراهة رضوان الله
واتباع ما اسخطه ما كان كفرًا لا ينفع معه العلم والتفاضل
في الايمان بدخول الزيادة والنقص فيه يكون من وجوه متعددة احدها
الاعمال الظاهرة وهذا مما وقع الاتفاق على دخول الزيادة والنقصان
فيه وقول من قال الزيادة في العمل الظاهر لا في موجبه غلط فان تفاضل
معلول الاشيآء ومقتضاها يقتضي تفاضلها في انفسها ومن هذا
يتبين الوجه الثاني وهو زيادة اعمال القلوب ونقصها فانه من
المعلوم بالذوق ان الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله وخشية
الله والانابة اليه والتوكل والاخلاص وفي سلامة القلوب من الريآء
والكبر ونحو ذلك والرحمة بالخلق والنصح لهم ونحو ذلك وفي
الصحيحين ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله
ورسوله احب اليه مما سواهما الى اخره وقال تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم الاية وقال صلى الله عليه وسلم اني لاخشاكم
لله واعلمكم بحدوده وقال له عمر لانت احب الي من كل شيء

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الا نفسي فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك قال فلانت احب
الي من نفسي قال الان يا عمر ومن هذا قول الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا الاية اي زادهم طمانينة وسكونا
الثالث ان نفس التصديق والعلم يتفاضل باعتبار الاجمال والتفصيل
فليس تصديق من صدق الرسول مجملا من غير معرفة بتفاصيل اخباره
لمن عرف ما اخبر به عن الله وليس من التزم طاعته مجملا ومات قبل ان
يعرف التفصيل كمن عاش حتى عرف ذلك مفصلا واطاعه فيه و
من امن بالرسول فلم يكذبه قط لكن اعرض عن معرفة امره ونهيه
وطلب العلم الواجب عليه بل اتبع هواه واخر طلب العلم و فعلمه
ولم يعمل به فمن طلب علم التفصيل فعلم وعمل فايمانه اكمل والمقر بما جاء
به الرسول المعترف بذنبه في غفلة عما جاء به الرسول مع انه مقر
بنبوته ظاهرا وباطنا فكلما علم القلب فصدق وما امر به فالتزمه
كان زيادة في ايمانه وكذلك من عرف اسماء الله ومعانيها الرابع
ان الانسان قد يكون منكرا للامور لا يعلم ان الرسول اخبر بها ولو علم
لم يكذب ثم يسمع الاية او الحديث او يتدبرا او يفسر له فيصدق بما
انكر وذلك تصديق جديد وايمان جديد والانسان يقرا الاية
مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في اثناء الحال من معانيها ما لم يكن
خطر له قبل ذلك حتى كانها نزلت تلك الساعة فيؤمن بتلك
المعاني ويزداد علمه وعمله وهذا موجود في قرانا فتدبره
الخامس ان التفاضل يحصل من جهة الاسباب فمن كان

مستلزمه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مستلزمة ادلة توجب اليقين وتبين فساد الشبهة العارضة لم يكن كمن
ليس كذلك بل من حصلت له علوم لا يمكنه دفعها عن نفسه لم يكن بمنزلة من
تعارضه الشبهة ويريد ازالتها بالنظر والبحث ولا يستريب عاقل ان العلم
بكثرة الادلة وبقوتها وبفساد الشبه ليس كالعلم الحاصل عن دليل واحد من غير
ان يعلم الشبه السادس من ان يقال ليس فيما يقوم بالانسان اعظم تفاوتا
من الايمان مثال ذلك ان الانسان يعلم تفاضل الحب الذي بقلبه لولده او
رياسته او غير ذلك فكما ان الحب اوله علاقة ثم صبابة ثم غرام ثم عشق
الى ان يصير متيما وهو التعبد ومتيم الله عبد الله فيصير القلب عبدا
للمحبوب مطيعا له وقد آل الامر بكثير من عشاق الصور الى ما هو معروف
مثل قتل نفسه او الردة او زوال العقل او الخروج عن المحبوبات العظيمة
فمعلوم ان التفاضل في حب الله اعظم والناس يتفاضلون في حب الله
ما بين افضل الخلق محمد وابراهيم الى من كان في قلبه مثقال ذرة من
ايمان وما بينهما من الدرجات لا يحصيها الا الله فانه ليس في اجناس
المخلوقات ما يتفاضل بعضه على بعض كبني ادم فان الفرس الواحد
ما يبلغ الف الف فرس وفي الصحيحين عن ابي ذر انه كان جالسا
عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر رجل من اشراف الناس فقال اتعرف هذا
قلت نعم يا رسول الله هذا حري ان خطب ينكح وان قال يستمع لقوله
وان غاب ان يسأل عنه ثم مر رجل من الضعفاء فقال اتعرف
هذا قلت نعم يا رسول الله هذا حري ان خطب لا ينكح وان قال
لا يستمع لقوله وان غاب لا يسأل عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا خير من ملء الارض من هذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net